اللغة والأدب-مجلة علمية محكّمة
ISSN: 1111-1143 EISSN: 2602-5202
العدد:32 المجلد:17؛ الشهر/السنة:2020

Language and Literature
A peer-reviewed Scientific journal
Issued by
the Departement of Arabic Language
and Literature

اللغة والأدب

I.S.S.N: 1111-1143
E.I.S.S.N: 2602-5205

اللغة والأدب
مجلة علمية محكّمة
يصدرها
قسم اللغة العربية
وآدابها

خصائص الخطاب الشعري النسائي القديم

قراءة في كتاب:«شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي»

Women's Poetry in the Origin of Islam and the Umayyad Age -" Substantive Technical Study

الدكتور محمد سيف الإسلام بـوفلاقــة Dr.Mohamed Saif Al-Islam Bouflaka

أستاذ محاضر،كلية الآداب، جامعة عنّـابـة، الجزائر

Senior lecturer, Faculty of letters and languages, Annaba, Algeria

المؤلف المرسل(باللغتين): الاسم الكامل:	الإيميل:
محمد سيف الإسلام بـوفلاقــة Dr.Mohamed Saif Al-Islam Bouflaka	
تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:
2019/05/16	2019/06/04

ملخص:

لم يحظ شعر المرأة العربية باهتمام كبير من قبل الدارسين، وبخاصة في عصري صدر الإسلام، والعصر الأموي ،فالمتأملُ يُلفي أن معظم الكتب التي تناولت شعر النساء في عصري صدر الإسلام ،والعصر الأموي، اهتم أصحابها بصفة عامة بالجمع ،والتوثيق وابتعدوا عن الدرس والتحليل ، ومن أهم الكتب التي تستحقُ الإشادة، والتي تعرضت لشعر المرأة في العصور القديمة ،نذكر كتاب الدكتور أحمد الحوفي، الموسوم ب: «المرأة في الشعر الجاهلي»،فهو أول من درس شعر النساء في العصر الجاهلي، وأفرد له فصلاً من كتابه لدراسة شعر النساء في العصر الجاهلي، وتناوله بعمقٍ، وتوسعٍ ،وكذلك فعلت الدكتورة واجدة مجيد في كتابها:«المرأة في أدب العصر العباسي»، حيث قدمت دراسة وافيةً، وموسعةً لشعر المرأة إبان هذا العصر .

ومن هنا يأتي هذا الكتاب الموسوم ب: «شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي-دراسة موضوعية فنية-» للدكتور سعد بوفلاقة، محاولاً أن ينفض الغبار، ويلملم شتات مرحلة من أهم المراحل الأدبية التي أبدعت فيها المرأة العربية وُأغمط حقها في ذلك،ويحاول هذا السفر أن يضيف حلقة من الحلقات المفقودة في تاريخ الشعر النسوي العربي التليد.

ونُحاول في هذا البحث أن نقرأ هذا الكتاب النقدي القيم ، والذي جاء محاولة من قبل المؤلف لتدارك محطات مهمة جداً من الشعر النسوي العربي القديم.

الكلمات المفتاحية: خصائص، الخطاب، الشعري، القديم، قراءة، كتاب

Abstract

The poetry of Arab women has not received much attention from the scholars, especially in the modern era of Islam and the Umayyad era. The meditator explains that most of the books that dealt with women's poetry in the modern era of Islam and the Umayyad era were generally concerned with collecting and documenting, The most important books worthy of praise, which have been exposed to the poetry of women in ancient times, mention the book of Dr. Ahmed Al-Hofi, entitled: «Women in the pre-Islamic poetry», he is the first to study the poetry of women in the pre-Islamic era, and devoted a chapter of his book to study the poetry of women in the era Jahili, and dealt with deeply, and expanded, as well as did Aldk In her book "Women in the Literature of the Abbasid Age", she presented a comprehensive and extensive study of women's poetry during this era. This is the book entitled: "Women's Poetry in the Origin of Islam and the Umayyad Age - A Substantive Technical Study" - by Dr. Saad Baflkm, trying to shake the dust, and complete the stages of one of the most important literary stages in which Arab women were created and the right to do so, Travel to add an episode of missing links in the history of Arab feminist poetry

In this research, we attempt to read this valuable book of criticism, which was an attempt by the author to remedy the very important stations of ancient Arab feminist poetry

Keywords: characteristics, discourse, poetic, old, reading, book

مقدمة:

لم يحظ شعر المرأة العربية باهتمام كبير من قبل الدارسين، وبخاصة في عصري صدر الإسلام والعصر الأموي ،ومن هنا يأتي هذا الكتاب محاولاً أن ينفض الغبار ويلملم شتات مرحلة من أهم المراحل الأدبية التي أبدعت فيها المرأة العربية وُأغمط حقها في ذلك،ويحاول هذا السفر أن يضيف حلقة من الحلقات المفقودة في تاريخ الشعر النسوي العربي التليد،فالمتأملُ يُلفي أن معظم الكتب التي تناولت شعر النساء في عصري صدر الإسلام والعصر الأموي اهتم أصحابها بصفة عامة بالجمع ،والتوثيق ،وابتعدوا عن الدرس، والتحليل ، ومن أهم الكتب التي تستحقُ الإشادة ،والتي تعرضت لشعر المرأة في العصور القديمة ،نذكر كتاب الدكتور أحمد الحوفي، الموسوم ب: «المرأة في الشعر الجاهلي»،فهو أول من درس شعر النساء في العصر الجاهلي وأفرد له فصلاً من كتابه لدراسة شعر النساء في العصر الجاهلي، وتناوله بعمقٍ وتوسع ،وكذلك فعلت الدكتورة واجدة مجيد في كتابها:«المرأة في أدب العصر العباسي» حيث قدمت دراسة وافيةً وموسعةً لشعر المرأة إبان هذا العصر ، وبناءً على هذين الكتابين القيمين جاء هذا الكتاب كمحاولة من قبل المؤلف لتدارك الحقبتين المفقودتين ،وهو ما نبه إليه الباحث بأن كتابه هذا يأتي كامتدادٍ للدراستين اللتين قام بهما كل من الأستاذين المذكورين.

حاول الباحث عبر صفحات كتابه،و التي تزيد عن أربعمائة، وثلاثين صفحة ،أن يُقدم دراسة موسعة ومعمقة عن شعر القوارير في العصرين المذكورين ،ويتناوله بالدراسة والتحليل،و «يكشف النقاب عن أغراضه، ويحدد ظواهره الفنية المتميزة على مستوى الأساليب، والألفاظ، والصور والأخيلة»[1]. ويُجيب بسخاءٍ عن كثير من الأسئلة التي راودت مختلف الباحثين، والمهتمين بشعر المرأة العربية في عصري صدر الإسلام، والعصر الأموي.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤلف الكتاب قد ألف العديد من الكتب المتعلقة بشعر المرأة العربية، نذكر منها:« الشعر النسوي الأندلسي»،و«ليلى الأخيلية:أميرة شاعرات العرب»،و«ولادة بنت المستكفي:الأميرة الشاعرة»،و «بلاغات النساء لطيفور:تقديم وتعليق» ...وغيرها.

مضمون الكتاب:

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة، و مدخل ،وخمسة فصول، وخاتمة.

تحدث المؤلف في مقدمته عن الأسباب والدوافع التي جعلتهُ يختار شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي موضوعاً لمصنفه هذا، كما بين من خلالها أهدافه، وأقسامه، ومنهجه، ومصادره،ثم استعرض أهم العقبات والصعوبات التي اعترضته ، أما في المدخل فيحاول أن يقدم صورةً سريعةً عن مشكلة البحث التي سيعالجها فوقف أمام ثلاثة أسئلة رئيسة راودته،وهي:

-1-لمن يكتب الشاعر؟

-2-ماهية الشعر الذي يكتبه؟

-3-ما وقع الشعر الذي يكتبه على أبناء عصره؟

ويجيب الباحث عن هذه الأسئلة الثلاثة بإسهاب ،فمن المؤكد أن الشاعر حتى ولو كتب لنفسه ولذاته، فلا ريب أنه محكومٌ عليه أن يطلع عليه الآخرون ويقرءوه ويتخذوا نحوه موقفاً في الشكل والمضمون، ويرصِدُ المؤلف في سياق مدخله صورة للوضعية التي تُميز المجتمع العربي ونظرته للمرأة بصفة عامة، فيُقر بأن المجتمع العربي هو مجتمعٌ ذكوريٌ

بامتياز وفيه يُهيمن الرجال هيمنة لا حدود لها ،وان كانت هذه الهيمنة ليست متساوية في كل الفئات الاجتماعية ، ولقد اعتاد هذا المجتمع خلال قرون طويلة أن يتذكر من الشعراء الرجال أمثال:امرئ القيس،وحسان بن ثابت، وجرير، وأبي تمام ،والمتنبي، وابن زيدون، وغيرهم من مختلف العصور،ويقوم المدرسون بتدريس أشعار هؤلاء وتحليلها واعتبارها هي أساس الشعر العربي في حين أن شعر المرأة العربية لا يُذكر وإذا ذُكر فإنهُ يُذكر بشكل هامشي ،وإن حدث وعرج باحث على أشعار امرأة فهو يفعل ذلك رفعاً للعتب ،أو رغبةً منه في رفع التهمة عن هيمنة الذكور كما أن هناك في المجتمعات العربية العديد من الفئات المحافظة التي تعترض بأشكال مختلفة ومتخذة في ذلك ذرائع شتى على أن تكون المرأة شاعرةً،ونتيجة لهذه الأوضاع فإن أغلب الأشعار التي قالتها المرأة العربية هي جزءٌ من رؤية أنثوية لمجتمع ذكوري ،ويؤكد الباحث على أنه وبالرغم من قلة المروي من شعر المرأة العربية إلا أن المرأة تمكنت من تحقيق وجودها الأدبي عبر مختلف العصور، وقد كان بعض المؤرخين لا يحفلون بشعر المرأة ونجم عن ذلك ضياع عدد كبير من الأشعار التي أبدعتها المرأة في القديم، ولم يصل إلينا إلا النزر القليل منها، وقد دلّت العديد من المرويات على ضياع عدد كبير من أشعار القوارير ،مثل قول أبي نواس: « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى الأخيلية»،وقول أبي تمام:«لم أنظم شعراً حتى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصةً»[2]،فأين ضاعت هذه الأشعار والتي لم يصل إلينا منها سوى بعض المقطعات كتلك التي جُمعت للخنساء، والليلى الأخيلية ،وللخرنق وغيرهن. وقد ذكر الباحث أن المؤرخين سيطرت عليهم فكرةٌ خاطئةٌ صورت لهم أن الشاعرة العربية لم تحسن ولم تُجد إلا في غرض الرثاء، فحددوا مجالها الفني في الرثاء وحسب، وأهملوا شعرها في شتى الأغراض الأخرى،فابن سلام مثلاً لم يذكر من النساء الشاعرات سوى الخنساء وحدد مكانتها في طبقة شعراء المراثي ،وكذلك البحتري الذي أفرد في حماسته الباب الأخير لمختارات من الرثاء لعشر شاعرات ،وفي المفضليات نُلفي مرثية واحدة في خمسة أبيات لامرأةٍ من بني حُنيفة مجهولة الاسم والعصر، أما غير الرثاء فقد أُهمل ولم يُلتفت إليه ويهتم به ،ويعيب المؤلف على ابن سلام أنه لم يجد مكاناً للشاعرة ليلى الأخيلية بين شعراء طبقاته، ولم يذكرها إلا عرضاً عند حديثه عن النابغة الجعدي حين يُقر بأنها قد غلبت عليه، وكذلك الشأن بالنسبة لسكينة بنت الحسين تلك الشاعرة الفذة والناقدة العميقة التي قلما يعترف مؤرخو الأدب بالدور البارز الذي لعبتهُ،وهكذا فإن أغلب المصادر العربية القديمة لا نجد فيها إلا نزراً يسيراً من شعر النساء، فالآمدي في :«المؤتلف والمختلف» لم يذكر إلا بضع شواعر ولم يورد القرشي في «جمهرته» شاعرةً واحدةً ،وحذا حذوهما المرزباني في معجم الشعراء حيث لم يذكر امرأةً،وهذه هي السمة التي طبعت أغلب المصادر القديمة ،فالمرأة العربية أغمط حقها ولم يُهتم بها وبأشعارها .ويذكر الباحث بعض الأسباب التي حالت دون جمع شعر المرأة العربية وأدت إلى ضياعه وتنقسم هذه الأسباب إلى أسباب اجتماعية وأخرى تاريخية ،ومن أهم الأسباب التي عدها المؤلف:

1-حركة الجمع والتدوين في العصر العباسي،والتي نشطت على أيدي رجال عاشوا بعقلية مجتمع يئد المرأة معنوياً، ويعزلها عن الحياة العامة ،ومن ثمة لم يكن لها في تصورهم أن تتحدث عن عواطفها...ولذا فقد حصروا مجالها الفني في الرثاء.

2-التعصب من قبل الرجال، وعدم اعترافهم بشاعرية المرأة.

3-كان الرواة في عصر الجمع حريصين على الغريب فكانوا يأخذون عن الأعراب، لأنهم كانوا يقدّرون في الشعر قيمته اللغوية،ولأن شعر المرأة اتسم بقلة الغريب فيه فلم يحفل الرواة بروايته،وكذلك فقد وجدوا في غالبية شعر الرجال جزالةً ورصانةً فاحتفوا به،ووجدوا في شعر النساء رقةً ولیناً فلم يحفلوا به[3].

وبعد تعليق الباحث على هذه الأسباب ،فيُبدي رأيه بأنه قد يكون في بعض هذه الأسباب مبالغة وتجنٍ، يستحضر ما ألف عن النساء قديماً وحديثاً فيذكر في البدء الكتب التي ألفت عن المرأة قديماً ،ويقسمها إلى: ما ألف في أخبار النساء وما تناول فيه المؤلفون طبائعهن وحياتهن وأشعارهن، فيذكر من هذه الكتب، كتاب النساء للهيثم بن عدي، وأخبار النساء للمدائني، وكتاب أدب النساء لعبد الملك بن حبيب، وكتاب النساء للجاحظ وغيرها من المصنفات العديدة، وفي قسم ما ألف عن القيان يذكر على سبيل التمثيل: كتاب القينات للمدائني،وكتاب القيان لإسحاق الموصلي، وكتاب أشعار الجواري للمفجّع،وكتاب الحدائق الغناء في

أخبار النساء لأبي الحسن بن محمد المعافري المالقي وغيرها من كتب أخرى ، كذلك يورد المؤلف بعض الكتب التي اهتم فيها أصحابها بعض الشيء بتراجم النساء وأشعارهن،فذكر منها: كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، وكتاب الحماسة لأبي تمام، والبيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد، والعقد الفريد لابن عبد ربه وهلم جراً ،ثم يذكر المؤلف بعض ما ألف عنهن حديثاً فيورد جملةً من الكتب التي ألفت إبان العصر الحديث منها: كتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب بنت يوسف فواز والذي نشر سنة:1312هـ،وكتاب المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها لعبد الله عفيفي والذي نشر عام:1392هـ،وكتاب شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام لبشير يموت والذي نشر ببيروت سنة:1934م، وكتاب شهيرات التونسيات للعلامة حسن حسني عبد الوهاب والذي نشر بتونس سنة:1353هـ، وكتاب أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة والذي نُشر في دمشق عام:1959م،وغيرها.

ومهما يكن من أمر« فالشعر النسوي هو واقع وجزء لا يتجزأ من التراث العربي الشعري أُغمط حقه،وكما أن المجتمع لا يتكامل إلا برجاله ونسائه ،فكذلك الشعر العربي لا يتكامل إلا بتحليل دقيق لهذا التراث الضخم من الشعر النسوي»[4].

يستهل الباحث الفصل الأول من كتابه بتمهيدٍ يؤكد من خلاله على أن ظاهرة الاستمرارية في الشعر العربي هي واحدة من أبرز الظواهر وأكثرها أصالة ،فسمات وخصائص الشعر الجاهلي نجدها انتقلت وتسربت إلى مختلف العصور بدءاً من عصر صدر الإسلام حتى العصور الحديثة ،وهذه الخصائص ليست ثابتة وجامدة، بل غالباً ما نجدها قد تكاملت واتحدت مع خصائص العصور التالية، حيث ينتج عن ذلك صورٌ وأنماطٌ فريدة تدمج القديم بالحديث في هيئة جديدة ،وبناءً على ذلك فالباحث يُقدم في فصله لمحةً عن المرأة العربية وشعرها في فترة ما قبل الإسلام ويُتبعها بلمحةٍ أخرى تماثلها في المعالجة بعد ظهور الإسلام وبزوغ نجمه وانتشاره،فالمرأة العربية في الجاهلية لا يُمكن الوقوف على رأي واحد لتحديد مكانتها،فهي تختلف باختلاف القبائل والبيئات التي كانت تعيش في كنفها ،فالجاهليون كانوا يوقرون المرأة في نواحٍ و يمتهنونها في نواحٍ أخرى ، ولكن الذي لا يشوبُهُ ريبٌ أن المرأة العربية في كثير من القبائل قد برعت في العديد من المجالات واتصفت بصفات أخلاقية رفيعة ،كالأنفة والعفاف، والكرم، والجرأة، والشجاعة، ونجدة الملهوف،فالأنفة والعفاف صفتان متلازمتان للمرأة في كثير من القبائل وقد دلت على ذلك جملةٌ من الحوادث والقصص التي تناقلتها أمهات الكتب العربية وشتى الأسفار ومن ذلك قصة ليلى بنت لكيز الملقبة بالعفيفة والتي نجدها تصفُ ابتذال الأعداءِ لكرامتها وعفتها بأبياتِ بديعةٍ لا نزال نُرددها إلى يومنا هذا:

ليْتَ لِلْبرّاقِ عيْناً فَتَرى ما أقاسي منْ بلاءٍ وعَنَا
يا كُلَيْباً وعُقَيْلاً إخْوتي يا جُنَيداً أسْعِدُوني بالبُكا
عُذِبَتْ أخْتُكُمْ يا وَيْلكُمْ بعَذابِ النُّكْرِ صُبْحاً ومسَا
غلَّلُوني قيَّدوني ضرَبوا مَلْمسَ العِفَّةِ مِنّي بِالعَصا
فأنا كارِهَةٌ بَغْيَكُمَ ويقينُ المَوْتِ شيءٌ يُرْتَجى[5]

والمصادر العربية التليدة تفيض بحوادث جمةً تؤكد حرص المرأة العربية على شرفها واعتدادها بكرامتها في الجاهلية، ومما ذكره صاحب «الأغاني» أن فاطمة بنت الخُرْشُب ،والتي كانت إحدى ثلاث عُرفن ب:«المنجبات»، وقد كان لها سبعة أبناء وعندما أغار حملُ بدرِ الفزاري على قبيلتها «بني عبس» ،أسرها ولما ابتعد بها عن الحي صاحت به حتى يُرجعها ،وهددته بأنه لن يكون هناك صلحٌ بينه وبين بني زياد،غير أنه رفض الامتثال لمطالبها قائلاً إني ذاهبٌ بك حتى ترعيْ إبلي ،ولما أيقنت بأنه ذاهبٌ بها رمت بنفسها على رأسها من البعير، وفضلت الردى على أن يلحق بنيها عارٌ منها، والروايات الدالة على عفة المرأة وأنفتها كثيرةٌ، ومن ذلك قصة هند بنت عتبة مع زوجها الفاكه بن المغيرة قبل زواجها من أبي سفيان، وكذلك فإن كرم المرأة العربية مضربٌ للأمثال في شتى الأمم والحضارات ،وممن عُرفن بالكرم من النساء الجاهليات غنية بنتُ عفيف أم حاتم الطائي والتي كانت لا تمسك شيئاً تملكه وعندما رأى أخواتها إتلافها حجزوا عليها ومنعوها مالها دهراً وظلوا يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ،وبعد مدةٍ من ذلك أعطوها صّرمة من إبلها ولما جاءتها امرأة كانت تأتيها كل عامٍ لتسألها ،فقالت لها غُنية :دونك هذه الصرمة فخذيها فقد والله ذقت من الفقر ما آليت أن لا أمنع سائلاً أبداً ، وكذلك كانت سفانة بنت حاتم شديدة الكرم كأبيها وجدتها ،وبثينة

بنت مرداس وهي من شاعرات العرب وكرمائهن ،وخلاصة القول إن المرأة الجاهلية قد شاركت الرجل في الكرم والضيافة ،وإن كانت الحوادث التي وصلتنا عن كرم المرأة أقل منها بالنسبة للرجل وربما يعود ذلك إلى أن المرأة في غالب الأحيان لا مال لها إلا مال زوجها أو أبيها ،كما شاركت المرأة الرجل في الشجاعة والإقدام أثناء الحروب،فالقوارير اللاتي اشتهرن في الجاهلية بالبسالة كثيراتٌ منهن: رُقاش والتي طالما غزت بقومها في مقدمةِ الصفوف وهي تحقق الانتصارات تلو الأخرى ،ومنهن كذلك عمرة بنت علقمة الحارثية والتي كانت ترفع الألوية في ساحات الوغى ،ومنهن بنتا الفند الزماني اللتان يعود لهما الفضل في انتصار قبيلتهما على بني ثغلب في معركة يوم « تحلاق اللمم»،كما عُرفت المرأة بإجارة الهارب ،وعُرف عن الكثير منهن شهرتهن في الرأي والسلام، وتولي الملك، وبالأعمال الكثيرة كالتطبيب، وصناعة الرماح، والتجارة، وجمع الكماة، والإرضاع، والكهانة، وهلم جراً.ويقدم المؤلف عقب كل صفة من صفات المرأة الجاهلية أمثلة ونماذج على ذلك ثم يُعرج بنا ليُعدد مجموعة من المظالم الجاهلية للمرأة فقد عانت جُملة من المظالم والإضطهادات في بعض القبائل،كحرمانها من الإرث، واعتبارها كالسائمة تورث مع سوائم زوجها ،ووأد البنات ،والسبي، والاستغلال حيث كانت تباع وتُرهن في قضاء المنافع وسداد الديون، وغيرها من شتى المظالم المتعددة، ومما لاشك فيه أن واقع المرأة كان مريراً في كثير من القبائل العربية، كما تطرق المؤلف بعد دراسته لأوضاع المرأة العربية إبان الجاهلية إلى شعرها ونقدها ،فيستدلُ على ذلك بجُملة من الشاعرات والناقدات العربيات المُجيدات،فمن الشواعر جليلة بنت مرة الشيبانية زوجة كُليب، والتي كتبت قصيدة ترثي فيها زوجها وأضحت هذه القصيدة من أروع ما كُتب من شعر ليس في العصر الجاهلي وحسب بل في شتى العصور التالية ،وهي قصيدةٌ جميلة الصياغة ،عذبة الأسلوب،ومن الشاعرات أيضاً زرقاء اليمامة (عنز) ،وقد كانت شاعرة وعرافة وهي القائلة تحذر قومها من عدوٍ لهم:

خذُوا حِذاركُمُ يا قَوْمُ يَنْفَعُكُمْ فلَيْسَ ما قَدْ أرى بالأمْرِ يُحتَقَرُ

إنّي أرى شَجَراً مِنْ خَلْفِها بشَرٌ وكَيْفَ تَجْتَمِعُ الأشْجَارُ والبشَرُ (6)

ومنهن كذلك الخِرْنق بنتُ بدر أخت طرفة بن العبد لأمه،فشعرها جيدُ الصياغة،محكم السبك، عذبُ الكلمات،ومنهن الخنساء(تماضر بنت الشريد) ، وصفية الباهلية ،والسلكة أمُ السُليك، ودخنتوس بنت لقيط بن زرارة وغيرهن ،فهناك ما يربو عن ثلاثين ومائة شاعرة ينتمين إلى العصر الجاهلي،وهذا ما يدُلُ على أن الشعر لم يكن وقفاً على الرجال وحسب،بل شاركت فيه النساء كذلك،وعلى العموم فقد تناولت المرأة الجاهلية في شعرها جميع الأغراض السائدة في تلك الفترة ،كالمدح، والرثاء، والهجاء، والفخر، والغزل، وإثارة الحماس،...وغيرها من شتى الأغراض،غير أن أهم غرضٍ نظمت فيه المرأة هو الرثاء.

ومن النساء الناقدات أم جندب زوجة امرئ القيس ،والتي نقدت شعره وشعر علقمة في الحادثة الشهيرة وكذلك الخنساء التي نقدت شعر حسان بن ثابت عندما عرضه على النابغة في سوق عكاظ ،ومما لا يشوبُهُ ريبٌ أن المرأة الجاهلية قد كانت تتذوق الشعر وتنقده وتكشف عن خباياه وتبينُ مواضع الجودة والرداءة فيه.

ويختتم الباحث فصله هذا بنظرة شاملة لأحوال المرأة العربية بعد الإسلام،حيث يخوض بإسهابٍ في وضعية المرأة التي تغيرت بفضل القيم الرفيعة التي حملها الإسلام للنساء، وبعد أن يستدل على ذلك بكثير من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وشهادات لكبار الكُتاب أمثال: عباس محمود العقاد وغيره، يخرج المؤلف بخلاصةٍ:«أن الإسلام قد انتشل المرأة من الهوة المظلمة التي كانت تتردى فيها في الجاهلية،فأكرمها وأوجب العناية بها، والعطف عليها،وكفل لها حقوقها،فسنّ لها تشريعها مفصّلا في الإرث والزواج والطلاق،وغير ذلك مما جاء به الإسلام تعزيزاً لمكانتها، واحتفاءً بها»(7).

أما الفصل الثاني من الكتاب فقد خصصه المؤلف للحديث عن الخلفية السياسية والثقافية والاجتماعية لشعر المرأة في عصري صدر الإسلام والعصر الأموي ،وبوجه عام لم يتطرق المؤلف في الجزء الأول من فصله هذا لشعر المرأة إلا نادراً جداً، فيبدو لنا الباحث من خلال فصله هذا كمؤرخ يؤرخ ويتتبع أهم الأحداث والأوضاع السياسية التي سادت عصر صدر الإسلام والعصر الأموي فيخوض في بحار الفتنة الكبرى التي وقعت بين المسلمين بدءاً من

خلافة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- واستفحلت أكثر في خلافة الإمام علي-كرم الله وجهه-،وكان لها تبعاتها إبان عصر بني أمية ،وبالرغم من ابتعاد الباحث في فصله هذا عن موضوع شعر النساء بصورة عامة إلا أن هذا الفصل له أهميتُهُ ولهُ علاقةٌ متينةٌ بالموضوع ، وتمكن المؤلف من خلاله أن يُبرز ويؤكد أن المرأة قد شاركت مشاركة فعالة في الحياة الاجتماعية والأحداث السياسية والحربية، وقد كان لتلك المشاركة تأثيرٌ كبيرٌ في شعرها وفي جوانب متعددة منه، كما أن عصر الشاعر وبيئته من أهم مصادر شعره ومنها يستمد الشاعر المقدار الأكبر في إبداع قصائده ،و إدخال الباحث لهذا الفصل في ثنايا بحثه ووضعه في المرتبة الثانية مع غيره من الفصول نستشف منه أنه يرمي من وراءه إلى مساعدة القارئ على فهم النصوص الشعرية التي كتبت في ذلك العصر ،والسير على هُدىً في دراستها وفهمها بيسر.

وعندما تناول المؤلف الأوضاع السياسية قدم أمثلة عن نساء اشتهرن في كُل فرقة من الفرق الإسلامية فمن غلاة الشيعة يذكُرُ هند بنت المتكلفة الناعطية، وليلى بنت قمامة المدنية، وهما اللتان كانتا تنفقان بسخاء من مالهما في سبيل نشر دعوتهما ،واشتهر نساء الخوارج بالشجاعة ورباطة الجأش،فقد كن يُضربُ بهن المثل في الشجاعة والإقدام فمنهن :الشجاء الخارجية ،والتي ذكرها الجاحظ وأشاد بشجاعتها ، وعن أبان بن عثمان ،قال:«سمعت أبا بلال في جنازةٍ ،وهو يقول:كل ميتة ظنون إلا ميتة الشجاء .قالوا: وما ميتةُ الشجاء ؟ قال: أخذها زياد فقطع يديها ورجليها،فقيل لها: كيف ترين يا شجاء؟ فقالت:قد شغلني هول المطلع عن برد حديدكُم هذا »[8]، ومنهن كذلك البلجاء وهي امرأة خارجية من بني تميم ،وقد كانت تثيرُ الخوارج في العراق،وتؤلبهم على عبيد الله بن زياد،ومنهن غزالة الشيبانية التي كانت ترعبُ الحجاج.

ومن اللاتي اشتهرن بشجاعتهن النادرة،أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام ،فقد شهدت وقعة اليرموك مع زوجها وأبلت فيها بلاءً حسناً ،ونلمس شجاعتها وعزة نفسها في جوابها لابنها عبد الله بن الزبير عندما تملكه اليأس من الظفر بالفوز بعد أن حاصرته جيوش الأمويين بالكعبة وأتى يستفتي أمه ،فحرضته على استقبال الموت بشرفٍ ،وبعد تناول المؤلف للحياة السياسية لكلا العصرين استعرض الخصائص التي تميزت بها الأوضاع الاجتماعية وفق مجموعة من العناصر نوجزها فيما يأتي:

-الإسلام يغير حياة العرب الاجتماعية

-طبقات المجتمع في هذا العصر

-فئات المجتمع في هذه الفترة

-مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية

أما عن الحياة الأدبية والفنية في عصر صدر الإسلام فقد كان لظهور الإسلام آثارٌ واضحة في كل مظاهر الحياة العربية الروحية والاجتماعية والسياسية والأدبية، وبالرغم من الاختلاف الكبير بين شتى المؤرخين والباحثين حول أثر الإسلام في شعر هذا العصر ،ومدى ما أصابه من قوةٍ أو ضُعف ،فهناك الاعتقاد الذي لقي رواجاً كبيراً بأن الشعر العربي قد خبت جذوته وكسدت سوقُهُ ،وأن القرآن الكريم قد كمم أفواه الشعراء، وأخرس ألسنتهم ،وهو الاعتقاد والرأي الذي رآه ابن سلام، وحذا حذوه في ذلك ابن خلدون وبعض النقاد المحدثين أمثال: جرجي زيدان، وجورج غريب،والسباع بيومي، بيد أن هذا الرأي قد رد عليه بعض الدارسين وحاولوا إثبات بطلانه ومجانبته للصواب من خلال رؤيتهم بأن الشعر إبان صدر الإسلام قد ظل مزدهراً ،ولم يمسسهُ ضعفٌ،ومن هؤلاء الدارسين الدكتور أحمد الحوفي، والعلامة الدكتور شوقي ضيف،الذي أشار إلى أن ما في كُتب الأدب والسير والتاريخ وكتب التراجم من حقائق تثبت الدور الذي نهض به الشعر في الصراع بين المسلمين في المدينة والمشركين في مكة ،ومما لفت الانتباه لهُ أن شعر المكيين لا يختلف في شيء عن شعر الجاهليين.

أما عن موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء ،فهو لم يُنفر من الشعر فيصدر عنه حُكماً مطلقاً،ولم يذم الشعراء أجمعين،فهو يفرقُ ويميزُ بين فئتين من الشعراء،فئة ضالة مشركة،وفئة مؤمنة صالحة، فكان موقفه من الفئة الضالة موقف إنكارٍ ،ومن شعر الفئة المؤمنة موقفاً ايجابياً ،ولم يذم شعرها بل عكس ذلك شجعها لمنافحتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي العصر الأموي ظل الشعر بصورة عامة يسيرُ في التيار المحافظ والذي يتمثل في اهتمام الشعراء بالأغراض التقليدية التي سادت العصر

الجاهلي، كما أن الإسلام رقق ألفاظ الشعراء و أساليبهم،وزادها عذوبة وسهولة ،وقد تجلت آثار القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في تعابيرهم وأفكارهم، وقد تطور الشعر الأموي في بعض الجوانب تطوراً ملحوظاً ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى تأثير الأوضاع السياسية والاجتماعية ومن ذلك التطور ظهور الغزل بشتى أقسامه،والشعر السياسي، وقد ازدهر الغزل في البيئة الحجازية أيما ازدهارٍ واستقام فناً قائماً بذاته ،وذلك راجع لانتشار الترف وكثرة المغنين والجواري ،وانقسم في مضمونه إلى مدرستين مميزتين:مدرسة الغزل العذري العفيف، ويمثلها الرواد المعروفون أمثال:جميل بثينة،ومجنون ليلى، وكثير عزة، ومدرسة الغزل الإباحي أو الحضري ويمثلها: عمر بن أبي ربيعة، والعرجي وغيرهما.

وفي وسط هذين اللونين من الغزل نُلفي غزلاً من نوع آخر هو الغزل التقليدي الذي كان يتغنى به الشعراء استجابةً منهم لتقاليد القصيدة العربية القديمة، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه :غزل جرير،والأخطل، والفرزدق، والراعي،وغيرهم من الشعراء.

والشعر السياسي نشأتُهُ مرتبطةُ بتناحر الأحزاب فيما بينها، وصراعها وتنافسها على الخلافة، فمن شعراء الشيعة كان: السيد الحميري وأبي الأسود الدؤلي ،والفرزدق، والكميت ، وهند بنت زيد بن مخرمة وغيرهم.

ومن شعراء الخوارج "قطري بن الفجاءة، والطرماح بن الحكم، وعمران بن حطان، ومن الزبيريين: عبد الله بن قيس الرقيات، ومن نساء بني أمية الشاعرات اللاتي اشتهرن: ليلى الأخيلية، وميسون بنت بحدل، وليلى العامرية ،وزينب بنت الطثرية وغيرهن.

ويخلص الباحث في نهاية فصله هذا إلى أن النساء وبالرغم من التضييق عليهن في هذا العصر إلا أنهن قد شاركن في الحياة الأدبية والفنية والسياسية والاجتماعية مشاركةً فعالة ،وساهمن إسهاماً بارزاً في شتى الجوانب والمجالات.

وفي الفصل الثالث من الكتاب درس المؤلف أغراض شعر النساء في صدر الإسلام دراسة مستقصية، وقد افتتح فصلهُ هذا بتمهيد حيث وجد أن المرأة شاركت الرجل في قرض الشعر ،وسايرتهُ في معظم أبوابه المعروفة التي سادت ذلك العصر، كالرثاء، والفخر، والغزل، والشكوى والاستعطاف، وإثارة الحماس، والتحريض على القتال ،غير أن غرض الرثاء هو الذي نال حصة الأسد و كان أكثر الأغراض تداولاً من قبل الشواعر، وربما مردُ ذلك إلى عوامل نفسية تخصُ المرأة فهي أسرع إلى إظهار الحزن والتعبير عنهُ،وتصوير انفعالاتها وجزعها لرهافة حسها ورقتها ،ولقد اشتهرت شاعرات كثيرات،منهن: أروى بنت عبد المطلب، وأختها صفية، وهند بنت عتبة، وهند بنت أثاثة ،وضباعة بنت عامر، وقتيلة بنت النضر ،وعفراءُ بنت عُقال العذرية، وخولة بنت الأزور، ونائلة بنت الفراصفة، وفريعةُ بنت همام، وهلم جراً.

وكون الرثاء قد نال حصة الأسد من شعر النساء في هذا العصر يبتدئ المؤلف به فيتطرق إلى الشواعر اللاتي رثين من فقدن ويقدم نماذج من شعرهن ويحللها ويدرسها ويعلق عليها وذلك فيما يربو عن ستين صفحة من فصله هذا ، وبعد فراغه من ذلك يوجز أهم السمات التي ميزت مراثي الشواعر ،فمن حيث المنهج تبين للمؤلف أن شواعر صدر الإسلام لم يلتزمن بمنهج شعراء الجاهلية من حيث تعدد الأغراض وتشعب الموضوعات، فشعرهن موحد الغرض في القصيدة الواحدة ، كما أنهن يدخلن إلى الرثاء مباشرةً من غير مقدمات ،ولم يجد الباحث في رثائهن غير قطعةٍ واحدةٍ للشاعرة هند بنت عتبة استهلتها بالحكمة،كما وجد المؤلف أن ما يغلب على رثاء الشواعر أنه مقطوعات أو أبيات معدودة، إذ قلما ما وجد مطولاتٍ في شعرهن فالمرأة معروفة بقصر نفسها، ولاحظ بأن رثاء الشاعرات المشركات ظل على ما كان عليه في الجاهلية من أفكار ومعانٍ ترتبط بالندب والتأبين والتعزية ،أما شاعرات المسلمين فقد أسهمن في رثاء الشهداء أثناء المعارك والغزوات، ويتجلى في رثائهن أثر الإسلام كالصبر على قضاء الله وقوة الإيمان، والتأثر بالقرآن الكريم كما أن ألفاظهن اتسمت بالسهولة والسلاسة وبعدها عن التعقيد.

أما عن غرض الفخر فقد شاركت المرأة الرجل في فن الفخر أيضاً ،بيد أن فخرها لم يكن بتعداد فضائلها وبسالتها، وإنما كان بالإشادة بمناقب قومها ونسبها أو بالنبوة، ومن الشواعر اللائي اشتهرن وعرفن بهذا النوع صفية بنت عبد المطلب ، وأختها عاتكة، وضباعة بنت عامر، وخولة بنت الأزور، وإن

أهم ما تجدر الإشارة إليه أن فخر المرأة قد استمر كما هو عليه لدى شواعر العرب في الجاهلية،فقد كان فخرهن في تلك الحقبة بالرجال وأعمالهم وحسب،«ولم تختلف الإسلاميات عن الجاهليات في كون فخرهن ليس فيه من الأنوثة شيء كالفخر بالعفة والجمال والرقة وحلاوة الحديث وإسعاد الزوج ورعاية الأولاد، وتدبير البيت... ولعل مرد ذلك إلى استحيائها من الفخار بهذه المميزات »[9].

كما أدلت المرأة بدلوها في غرض الغزل ،حيث أسهمت في نظم العديد من القصائد الغزلية، ومن بين الشواعر المتغزلات فريعة بنت همام الذلفاء أم الحجاج، وعفراء بنت عقال وغيرهن،وإن أبرز ما يلاحظ على غزل النساء في عصر صدر الإسلام أن المرأة كانت تكتم وتستر حُبها،كما أن غزل المرأة في صدر الإسلام لا يختلف عن غزلها إبان العصر الجاهلي من حيث مناحيه ومعانيه ،وقد كان غزل المرأة غزلاً عفيفاً وكثيراً ما وقفت فيه عند تمنيها الوصال وتصوير شوقها ولهفتها إلى الحبيب.

ولم يكن فن النقائض حكراً على الرجال فقط، فقد شاركت فيه النساء أيضاً،وقد بدا دور المرأة جلياً منذ بداية الدعوة الإسلامية ،فكان منهن المؤمنات المدافعات عن القيم الإسلامية وعن الدين الجديد وكان منهن من وقفن في وجهه يهجون ويذمون المسلمين بأقذع و ألذع العبارات ، ولعل أول مناقضة حدثت في ذلك العصر بين الشواعر كانت بعيد موقعة بدرٍ بين هند بنت عتبة ، وعمرة بنت عبد الله بن رواحة، ولما أصيب المسلمون في موقعة أحد الشهيرة أطلقت هند بنت عتبة صرخة بأعلى صوتها معبرةً عن فرحتها بانتصار قريش بقصيدة مطلعها:

نحْن جزيْناكُم بيومْ بدرٍ والحرْبُ بعدْ الحرب ذاتُ سُعْرِ

فأجابتها هند بنت أثاثة تناقضها مباشرة، وتذكرها بما حل بها وبقومها يوم بدرٍ ،بقصيدة مطلعها:

خَزيتِ فِي بدْرٍ وبَعْدَ بَدْر يا بنْت وقَاعِ عظيمِ الكُفرِ

فهند بنت أثاثة هي من أوائل الشاعرات اللاتي أبدعن شعراً في فن النقائض، ومن نقائض النساء أيضا نقيضة هند بنت عتبة للخنساء، ولم تقتصر نقائض النساء على بعضهن البعض ، بل كانت هناك نقائضٌ بين الشعراء والشاعرات،فهذه ميمونة بنت عبد الله تنقض كعباً بن الأشرف عندما رثى أصحاب التقليب من قريشٍ بقصيدة مفحمةٍ مطلعها:

تحنن هذا العبد كل تحنن يبكي على قتلى وليس بناصب

وأما غرض المدح في صدر الإسلام فقد شاركت فيه المرأة غير أن مشاركتها كانت قليلة، فكما هو معروف أن مدح المرأة للرجل مما يُعافُ، ومن اللواتي مدحن رغبة منهن في نيل العطايا ابنة لبيد بن ربيعة عندما نابت عن أبيها في مدح الوليد بن عقبة أمير الكوفة، ومنهن كذلك قتيلة بنت النظر والتي مدحت لا رغبة في العطايا والتكسب بل إعجاباً لشمائل وشيم ممدوحها، فقد مدحت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة مطلعها:

الواهبُ الألف لا يبغي بها بدلا إلا الإله ومعروفاً بما اصطنعا

وكذلك أم كلثوم بنت عبد ودٍ التي مدحت علي بن أبي طالب-كرم الله وجهه- ، وإن أبرز ما يُستشف من مدائح النساء في هذا العصر،هو أن مجمل المدائح كانت مقطوعاتٍ، وكان مدحهن في الأغلب مدحاً خاصاً ومستقلاً بذاته، وغير متداخلٍ مع أغراض أخرى ،ولم يكن هناك مدحٌ من قبل الشواعر لبنات جنسهن، وقد جاء شعر المرأة في المدح يطفحُ بحرارة عاطفية صادقة ،لم يشهدها شعر الرجال الذين طالما لجئوا إلى النفاق فنجدهم يصفون ممدوحيهم بصفاتٍ تتنافى مع الواقع، وإضافة إلى هذه الأغراض فقد طرقت المرأة أغراضاً أخرى كالحكمة والشكوى، والاستعطاف، والشعر السياسي، وغيرها، وإن من أهم ما يُسجل على الأغراض التي خاضت فيها المرأة بصفة عامة:

أن أكثر شعر النساء يدور حول الرثاء ، وأقلهُ حول الفخر والغزل والمدح وغيرها.أما من حيث الأسلوب فقد لاحظ المؤلف أن الشاعرات قد اخترن الأساليب العربية الفصيحة ، وأن شعرهن كان يخضع لقاعدة (الوحدات الثلاث) وحدة البحر ،ووحدة القافية، ووحدة البناء، ويمكن تلخيص الأساليب التي نظمن بها: الأسلوب السهل السلس، والأسلوب الزجل، والأسلوب الحوشي، والأسلوب السوقي، وقد كانت أغلب شواعر صدر الإسلام حرائر، وهذا عكس ما نجده في عصور أخرى وخاصةً إبان العصر العباسي ، كما أن عددهن

كان كثيراً وبالمقارنة مع ما وصل من شعرهن فإنه قليل بالنسبة إلى عددهن.

أما الفصل الرابع فقد خُصص لدراسة أغراض شعر النساء في العصر الأموي ويُقدم المؤلف فصله هذا بتمهيدٍ بين فيه النهج الذي يسير عليه،فهو يقوم بدراسة النصوص الشعرية ويحللها ومن ثمة يتعرف على أهم مميزات شعرهن ، ولقد تبين للباحث أن الشواعر قد طرقن فنوناً شعرية شتى وسايرن الرجال في معظم الأبواب المعروفة آنذاك كالرثاء، والغزل، والمدح، والهجاء، والفخر، وقد انقسم شعر القوارير في هذا العصر إلى قسمين : شعر الحرائر، وشعر القيان، ولقد اشتهر في هذا العصر شاعرات كثيرات، نذكر منهن: ليلى الأخيلية، وميسون بنت بحدل، وليلى العامرية، وزينب بنت الطثرية ، وسلامة القس وغيرهن، وكما هو الحال في عصر صدر الإسلام وحتى في مختلف العصور الأخرى باستثناء العصر الأندلسي، فإن الرثاء هو الغرض الذي حظي بالحيز الأكبر من اهتمام الشواعر مقارنة مع الأغراض الأخرى التي طرقتها المرأة، وقد ظل غرض رثاء الأشخاص يسيرُ على نفس النهج الذي سار عليه إبان عصر صدر الإسلام، ولم يقع أي تجديد من قبل الشواعر اللاتي نظمن في هذا الغرض، بيد أن رثاء المدن يُعد نوعاً جديداً من الرثاء في شعر النساء ولم يعرفه الشعر العربي من قبل كغرض خاص، كما أن أساليب شعرهن قد سلست ورقت ويتجلى فيها أثر القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وفي رثاء الأشخاص تأتي ليلى الأخيلية في مقدمة من رثى الأشخاص من الشواعر ، وكذلك زينب الطثرية التي رثت أخاها يزيد عند مقتله على يد بني حنيفة، وفي رثاء المدن فإن عائشة العثمانية تتصدر الشواعر في هذا الميدان،حيث رثت مكة المكرمة بقصيدة من أروع ماكُتب فيها، مطلعها:

أرِقتُ لِبَرقٍ بدا ضَوْؤُهُ بمكة يَبدُو ويْخفَى مراراً

وهي في قصيدتها هذه تصورُ مكة أدق تصويرٍ،و تصف من خلالها الفتنة التي ألمت بها وصفاً دقيقاً ،حيث أننا إثر قراءتنا لهذه القصيدة تتجلى أمام أعيننا صور التخريب والقتل والدمار والذعر الذي أصاب الناس.

ويأتي في المرتبة الثانية بعد غرض الرثاء غرض الغزل،فكما هو معروف أن عصر بني أمية قد كثر الغزل فيه كثرة مفرطة وتعددت اتجاهاتهُ،كما أن هذا الغرض لم يستقل بذاته إلا أثناء هذا العصر حيث كان في العصور السالفة مجرد مقدمات للدخول إلى أغراض أخرى، وينقسم الغزل في هذا العصر إلى ثلاثة أقسام: الغزل التقليدي، والغزل العذري أو العفيف، والغزل الإباحي، ولكن الشواعر لم ينظمن إلا في اتجاهين: الاتجاه العفيف، والاتجاه الماجن، وأبرز من يمثل اتجاه العفة من الشواعر: ليلى العامرية، وعقيلة بنت الضحاك، وسلامة القس، وممن يمثلن اتجاه المجون: خيرة أم ضيغم البلوية، وأم خالد الخشعمية، وأميمة زوجة ابن الدمينة، وستيرة العصيبية وغيرهن.

ويأتي الهجاء في المرتبة الثالثة من حيث الأغراض التي كتبت فيها المرأة في هذا العصر الذي استفحلت فيه حربُ النقائض والهجاء، لاسيما على يد جرير والفرزدق والأخطل، ومن أهم من عرفن بهذا النوع من الهجاء: حميدة بنت النعمان بن بشر، وليلى الأخيلية، وميسة بنت جابر، وغيرهن، وشاركت النساء الرجال في غرضي المدح والفخر ، وأدلين بدلائهن فيهما ،وأبرز من مدحت وافتخرت من الشاعرات ليلى الأخيلية التي مدحت معاوية بن أبي سفيان، والحجاج بن يوسف، ومروان بن الحكم، كما افتخرت بقومها عند انتصارهم في وقعة يوم النخيل على بني مدحج وهمذان. وقد ظهر في هذا العصر غرضُ الشعر الصوفي وأبدعت فيه المرأة ، وتأتي في مقدمة من أثرى هذا الغرض رابعة العدوية فهي تعتبر رائدة الشعر الصوفي ،وممن أبدعن أيضاً فيه ريحانة، وميمونة الصوفية، كما أبدعت المرأة في جُملةٍ من الأغراض الأخرى:كالحكمة، والحنين إلى الوطن، والتحريض على القتال وغيرها.

وإن أهم ما يلاحظ على هذا العصر ، أن عدد الشاعرات أقل من شاعرات صدر الإسلام ، وأن الشاعرات في هذا العصر قد نظمن في أغلب الأغراض والفنون الشعرية التي عرفت عند الشعراء آنذاك، غير أن غرض الرثاء هو الذي حظي بالاهتمام الأكبر ، وقد شاعت في رثائهن نزعة سياسية، وكثيراً ما كان يختلط بالهجاء، فكانت المرأة ترثي قتلاها وفي نفس الوقت تهجو وتهاجم الفاعلين،واحتل الغزل المرتبة الثانية بعد الرثاء، وقد انقسم إلى غزل: العفاف والترفع، وغزل المجون والشهوة.

أما عن الفصل الأخير الذي حواه الكتاب ،فقد عنونه المؤلف ب:«الخصائص الفنية في شعر النساء:دراسة فنية»، وقد جعل الباحث فصله هذا لدراسة الخصائص والسمات الفنية التي أكسبت شعر القوارير الجمال والخلود، حيث تناول المؤلف فيه بناء القصيدة النسوية فبدأ بمقدمة القصيدة حيث لاحظ من خلالها أن الشواعر كن يتخلصن من المقدمات ويدخلن في الموضوع مباشرةً ،إلا نادرا، ومن أهم الظواهر التي يتميز بها شعر النساء كذلك «وحدة الغرض»،فالمتأمل في شعرهن يجد وحدة الغرض قد تمثلت في قصائدهن أصدق تمثيل كما ذكر المؤلف، وقد كانت القصائد تدور في مجملها حول فكرةٍ واحدةٍ في أبيات قليلةٍ قلما تطول، وذلك يعود إلى سرعة الوصول إلى ما ترغب فيه الشاعرة ،فالوحدة الموضوعية متوفرةٌ في أكثر مقطوعاتهن وقصائدهن، وفي شتى الأغراض سواءً في الرثاء، أو في الغزل، أو في المدح، باستثناء بعض القصائد المطولة فقد اشتملت على مجموعة من الأغراض،مثلما تجلى ذلك في مدح ليلى الأخيلية لمروان بن الحكم، حيث استهلتها بمقدمة وصفت فيها شوقها إلى ديار الأهل التي أضحت خراباً، ووصفت شجاعة وبطولة الفرسان،ثم انتقلت إلى المدح ،أما عن شعر المرأة بين الطول والقصر فيمكن القول بأن أغلب شعرهن مقطعات وأبيات ،فلم يُعرف عنهن إلا بعض المطولات المعدودة، وربما يعود السر في اتخاذ شعرهن شكل المقطعات إلى أنه كان عُرضةً للضياع ضمن ما ضاع من الشعر العربي في العصور التليدة، وهذا ما أشارت إليه الباحثة سوزان ستيتكيفيتش،عندما قالت:«إن القصيدة القصيرة الناقصة البناء،لم تكن أصلاً قصيدة مستقلة ،بل هي بقية قصيدة متكاملة البناء »[10]، كما أن مرد ذلك قد يكون إلى أن الشواعر يهجمن على موضوعاتهن دون مقدمات،فتأتي قصائدهن قصيرة ،وهذا يؤدي إلى كثرة المقطعات في شعرهن، كما تطرق الباحث من خلال فصله هذا إلى جملة من العناصر نوجزها فيما يأتي:

-الأوزان والبحور

-البحور المستعملة لدى شواعر صدر الإسلام

-التواتر في البحور

-البحور المستعملة لدى شواعر عصر بني أمية

-التواتر في البحور لدى شواعر بني أمية

-خصائص البحور لدى الشواعر

-علاقة الأوزان بالأغراض والقوافي...وهلم جراً.

أهم نتائج الدراسة:

و بعد هذه الرحلة بين دفتي هذا الكتاب نوجز للقارئ في جملة من النقاط المقتضبة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في سفره هذا، وهي كالآتي:

-من الناحية الفنية لاحظ الباحث أن هناك ظواهر فنية بارزة طبعت الشعر النسوي في صدر الإسلام والعصر الأموي،تتمثل في بناء القصيدة النسوية، وفي الأوزان والقوافي،وفي الأساليب والألفاظ، والصور والأخيلة.

-فيما يتعلق ببناء القصيدة النسوية، لاحظ الباحث أن الأغراض في شعر النساء لم تكن متداخلة مثلما هو معروف عند الشعراء من اختلاط المديح بالغزل،أو الفخر بالهجاء...وهكذا، ويُرد ذلك إلى أن أغلب شعرهن قصائد قصيرة ومقطعات وأبيات، ولم يعرف عنهن إلا بعض القصائد الطويلة كما ذكرنا ذلك آنفاً.

-من ناحية الأوزان والبحور تجلى للباحث أن الشواعر لم ينظمن في جميع البحور ،فلم يعثر على شعر لهن في ستة من البحور،هي: المديد، والمنسرح، والمضارع، والمقتضب، والمجتث، والمتدارك،أما بقية البحور التي نظمن عليها،فقد وردت في أشعارهن بنسب متفاوتة، وقد رتبها المؤلف في كتابه حسب ترددها وقام بوضع جدول خاص بها أوضح فيه سلم التردد الذي توزعت فيه.

-وجد الباحث أن بحر الطويل يحتل المرتبة الأولى لدى شاعرات صدر الإسلام ،يليه الكامل، فالرجز،ثم الوافر، فالبسيط،فالسريع، ثم الخفيف ،فالهزج، فالمتقارب،وأخيراً الرمل.أما شاعرات العصر الأموي ،فالطويل أيضاً يحتل المرتبة الأولى ،يليه البسيط،فالكامل، فالوافر،فالرجز،فالمتقارب،فالخفيف،فالسريع،فالرمل، وأخيراً الهزج.

-فيما يتعلق بعلاقة الأوزان بالأغراض ،لاحظ الباحث أن الشواعر قد نظمن على كل بحرٍ أغراضاً متعددة ، وأن القارئ لشعرهن لا يشعر بالربط بين موضوع الشعر ووزنه إلا في بعض الحالات التي جاءت عرضاً، وقد تبين للباحث من خلال الإحصاء ما يلي:

أ-أن شواعر صدر الإسلام والعصر الأموي طرقن غرض الرثاء في الغالب على البحر الطويل يليه الكامل فالبسيط.

ب-نزعت شاعرات العصر الأموي إلى طرق موضوع الغزل على البحر الطويل يليه الوافر فالبسيط.

ج-طرقن موضوع الهجاء على بحر الطويل يليه البسيط فالرجز فالوافر فالمتقارب.

د-نزعن إلى طرق شعر التصوف على بحر الطويل فالكامل ثم الوافر.

هـ-طرقت شواعر صدر الإسلام الفخر والغزل على بحر الكامل يليه البسيط فالوافر فالسريع.

-عند دراسة الباحث للقوافي، بدا له أن الشاعرات اجتنبن القوافي الحوش والنفر إلا فيما ندر ،وقد تخيرن منها الذلل، فكان أغلب شعرهن على قوافي الراء بالدرجة الأولى، والباء بالدرجة الثانية، ثم اللام، فالميم،فالدال، فالنون، فالياء. وقد قام الباحث بإحصاء دقيق لقوافي الشاعرات حسب تواترها في أشعارهن فوجد أن أغلب أشعارهن على القافية المطلقة ، وكانت أعلى نسبة منها على مجرى الكسرة ،ثم الضمة،فالفتحة.وقد عثر في شعرهن على بعض العيوب في القافية، منها الايطاء والاقواء، وقد أشار الباحث إلى هذه العيوب في مكانها.

-لاحظ الباحث عند بعض الشواعر محاولات تجديدية في القوافي لم تجر العادة بمثلها آنذاك كالتحرر من القافية الذي ألفاه عند الشاعرة ابنة أبي مسافع في مقطوعتها التي بكت فيها أباها الذي قال يوم بدر وهو يحمي جيفة أبي جهل.

-عندما تأمل المؤلف في علاقة القوافي بالمعاني،وجد أن الشاعرات نظمن جميع المعاني على أغلب القوافي ،ولم يقيدن قافية بغرض معين، وهكذا كان أغلب الشعراء العرب.

-درس الباحث أساليبهن حسب مستويين:المعجمي،والبلاغي(الصور والأخيلة)، وقد لاحظ العديد من الملاحظات:

-لاحظ أن أغلب شعرهن في المدح والفخر والرثاء نظم بأسلوب جزل وبلغة قوية، وإن أكثر شعرهن في الغزل والاستعطاف والحنين إلى الأوطان قيل بأسلوب سهل سلس، وبلغة رقيقة عذبة، وأن أغلب شعرهن في الهجاء والغزل الإباحي، وترقيص الأطفال، نُظم بأسلوب سوقي، وبلغة ركيكة مستهجنة.

-شمل الأسلوب الحوشي جلّ الأغراض الشعرية التي نظمن عليها، ولاسيما أساليب شواعر قريش اللائي حافظن على استعمال الغريب، ولم يحاولن تحرير أساليبهن من الخشونة والحوشية والغرابة مما درجوا عليه في العصر الجاهلي.

-تصدى الباحث للمصطلحات والألفاظ فوجدها تنتمي إلى أودية شتى ، وتتوزع عليها بنسبٍ متفاوتة ، وأهم المصطلحات التي استعملتها الشاعرات ،يأتي المصطلح السياسي في الدرجة الأولى، وهو متوفر إلى حد كبير يجسّمه عدد وفير من المفردات،ويليه المصطلح الديني ، ثم المصطلح الأخلاقي ،فالمصطلح الاجتماعي الذي تندرج تحته ثلاث مسائل هامة ظلت الشغل الشاغل للشواعر، وهي الحب ومشتقاته، والزواج وتربية الأبناء، والكرم...

-كما أن هناك مصطلحات و تعابير نسوية ساهمت بقسط في تكوين مادة الشعر النسوي، كاستعمالهن للألفاظ التي تدل على قوة المشاعر والعواطف والانفعالات ،كما يكثر في شعرهن تردد كلمات النواح والبكاء مما لا نظير له في شعر الرجال، ويغلب على رثائهن الاستهلال بالبكاء ، وتكرار مطالع القصائد .

-عند تعرض الباحث للمستوى البلاغي أو كما يطلق عليه الصور والأخيلة ، تبين له أن الشواعر يستعملن كلمات المعجم تارة على وجه الحقيقة،وتارة على وجه المجاز، وأنهن استخدمن صوراً وأخيلة من القديم، وفي مقدمتها الاستعارة والتشبيه بأقسامهما المختلفة.

- عند دراسة الباحث لصورهن وأخيلتهن ، اتضح له ما يلي:

أ-أن أغلب الصور و الأخيلة منبثقة من المدارك الحسية ، وأن حاسة البصر أنشطها في تشكيل الصور،أي: أنهن بصريات اهتممن في أخيلتهن بالمرئيات، وكان لحاستي السمع والشم بعض الحضور، أما بقية الحواس ،فكأنها معطلة.

ب-كان للصور والخيالات المنتزعة من الطبيعة الحية والصامتة الحظ الأوفر في تشكيل الصور ، وقد احتل

الأسد الدرجة الأولى في الشيوع في أخيلتهن من الطبيعة الحية...

-من حيث عدد الشاعرات أحصى المؤلف منهن ما يقرب من ستين شاعرة في صدر الإسلام، وأربعين شاعرة في العصر الأموي، ولا شك أن ثمة أخريات لم ترد أخبارهن في المصادر القديمة، وكان منهن الحرائر والقيان،غير أن طبقة القيان في مجال الشعر تمثل نسبة محدودة بالمقارنة مع الحرائر.

-وازن المؤلف بين شعر الحرائر وشعر القيان،فوجد ما يأتي:

أ-أن الحرائر أطول نفسا من القيان، فشعر الحرائر قصائد ومقطوعات، بينما شعر القيان أبيات ومقطوعات، وقلما عثر على قصيدة لهن.

ب- من حيث الكمية، فإن شعر الحرائر أوفر بكثير من شعر القيان الذي لا يمثل إلا نسبة ضئيلة جداً من مجموع أشعار النساء.

ج- كان شعرهن-من حيث قيمته الفنية-في مجمله جيداً في الرثاء، وموفقاً في المدح والغزل العفيف، وضعيفاً في الهجاء والغزل الماجن.

خلاصة:

و في الأخير تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد اعتمد في كتابه المنهج التاريخي، الذي يعتمد على الترتيب الزمني في تتبع الظواهر الأدبية وتفسيرها، غير أنه لم يكتف بهذا المنهج بل استخدم ومازج بين مناهج بحث مختلفة كالمنهج النقدي، والمنهج الوصفي، والمنهج النصاني الذي يتزعمه رولان بارت،ويمكن القول إن الخلاصة العامة التي يخرج بها قارئ هذا السفر هي أن الشعر النسوي في عصريّ صدر الإسلام، والعصر الأموي ، كان شعراً حياً ومعبراً، لا يقصر عن شعر الرجال في كثير من الأغراض، وأن الادعاء الذي يدعيه البعض بأنه ضعيف ومتخلف، هو ادعاء باطل ولا أساس له من الصحة ، وفيه كثير من التجني والظلم ،للمرأة ولشعرها، بل إن النساء كن في كثير من الأحيان يتفوقن على الرجال من الشعراء، كما حدث ذلك مع ليلى الأخيلية التي غلبت على النابغة الجعدي بشهادة ابن سلام والأصمعي، وكان بعضهن ناقدات مجيدات ،كسكينة بنت الحسين سيدة الناقدات التي كان يحتكم إليها كبار شعراء عصرها .

. الهوامش:

(1)د.سعد بوفلاقة :شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي،دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى،1428هـ/2007م،بيروت،لبنان،ص:08.

(2)مصطفى صادق الرافعي:تاريخ آداب العرب،دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية،1394هـ/1974م،ج:03،ص:73، وقد أورده الدكتور سعد بوفلاقة في كتابه،ص:15.

(3)د.أحمد الحوفي:المرأة في الشعر الجاهلي،دار نهضة مصر للطبع والنشر،الطبعة الأولى،1961م،القاهرة،ص:605-606، وقد أورده الدكتور سعد بوفلاقة في كتابه،ص:17.

(4)د.سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي،ص:25.

(5)يموت بشير:شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام،المكتبة الأهلية، الطبعة الأولى،1353هـ،1934م،بيروت،لبنان،ص:32-33، وقد أورده الدكتور سعد بوفلاقة في كتابه،ص:29.

(6)ياقوت الحموي:معجم البلدان،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر،د.ط،1404هـ/1984م،بيروت،لبنان،ص:446، وقد أورده الدكتور سعد بوفلاقة في كتابه ص:49.

(7)د.سعد بوفلاقة:شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي،ص:61.

(8)الجاحظ:الحيوان،تحقيق: عبد السلام هارون،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ص:588-589، وقد أورده الدكتور سعد بوفلاقة في كتابه ص:82.

(9)د.أحمد الحوفي :المرأة في الشعر الجاهلي،دار نهضة مصر للطبع والنشر،الطبعة الأولى،1961م،القاهرة،ص:644، وقد أورده الدكتور سعد بوفلاقة في كتابه ص:185-186.

(10)سوزان ستيكيفيتش:القصيدة العربية وطقوس التعبير، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،ج:01،م:60، يناير 1985م،ص:65، وقد أورده الدكتور سعد بوفلاقة في كتابه ص:343.